HARRAN ÜNİVERSİTESİ İLAHİYAT FAKÜLTESİ
HARRAN UNIVERSITY FACULTY OF THEOLOGY

ULUSLARARASI MEVLÂNA VE MEVLEVÎLİK SEMPOZYUMU

INTERNATIONAL SYMPOSIUM ON MAWLANA JALAL AL-DIN RUMI AND MAWLAWISM

Mevlâna Celaleddin Rumi'nin 800. doğum yıldönümü anısına

BİLDİRİLER
I

26–28 EKİM 2007

ŞANLIURFA

ULUSLARARASI MEVLÂNA VE MEVLEVÎLİK SEMPOZYUMU BİLDİRİLERİ-I

ISBN
978-605-89998-1-7

Düzenleyen Kuruluşlar
Harran Üniversitesi İlahiyat Fakültesi
Şanlıurfa Mevlevihanesi Yaşatma ve Kültür Derneği

Editörler
Prof. Dr. Abdurrahman ELMALI
Prof. Dr. Ali BAKKAL

Düzenleme Kurulu
Başkan: Prof. Dr. Abdurrahman ELMALI
Sekreterya: Dr. Hüseyin KURT
Prof. Dr. Ali BAKKAL, Prof. Dr. Musa Kazım YILMAZ, Prof. Dr. Adnan DEMİRCAN, Prof. Dr. Yusuf Ziya KESKİN, Doç. Dr. Murat AKGÜNDÜZ, Yrd. Doç. Dr. Cüneyt GÖKÇE, Yrd. Doç. Dr. Harun ŞAHİN, Yrd. Doç. Dr. İ. Hakkı İNAL, Yrd. Doç. Dr. Yasin KAHYAOĞLU, Yrd. Doç. Dr. Ahmet ASLAN, Dr. Celil ABUZER, Dr. Halil ÖZCAN, Dr. Kadir PAKSOY, Dr. Veysel KASAR, Dr. Vehbi ŞAHİNALP, Okt. Kadir ALPEREN, Okt. Abdülkadir AYDIN, Okt. Mehmet OYMAK

Bilim ve Danışma Kurulu
Prof. Dr. İbrahim DÜZEN
Prof. Dr. Ethem CEBECİOĞLU
Prof. Dr. Osman TÜRER
Prof. Dr. Mustafa KARA
Prof. Dr. Abdullah ÖZBEK
Prof. Dr. Abdülhakim YÜCE
Prof. Dr. İsmail YAKIT
Prof. Dr. Ali BAKKAL
Prof. Dr. Musa Kazım YILMAZ
Prof. Dr. Adnan DEMİRCAN

Dizgi-Tasarım
Arş. Gör. Dr. Hüseyin KURT
Harran Üniversitesi İlahiyat Fakültesi

Grafik Tasarım
Öğr. Gör. Haldun ÖZBUDUN
Harran Üniversitesi Fen-Edebiyat Fakültesi

Adres
Harran Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, Osmanbey Kampusü/ Şanlıurfa

جلال الدين الرومي ومعالم التاريخ الإسلامي في عصره
(تكوينه ودوره)

د. عبد الرحمن البيطار*
Dr. AbdulRahman Al Bitar

حياة جلال الدين الرومي (6ربيع الأول604-5جمادى الثانية 672هـ / أيلول 1207-1273/12/17م):

1- ولادة جلال الدين ونشأته في بلخ وتأثيرها:

هو جلال الدين محمد بن محمد البلخي ثم القونوي والمعروف بالرومي نسبة إلى أرض الروم التي قضى فيها معظم حياته. وجلال الدين الذي لقب (مولانا) أو (مولوي) هو الشخصية العظيمة التي هي نتاج الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية، وكانت منبر هداية وشعلة إيمان في ذلك العهد المبتلى بالمصائب، والذي خيم الظلام فوقه. وربما يعد أعظم الشعراء المسلمين الذين كتبوا عن العرفان، وهو واحد من كبار مفكري الإسلام حتى وقتنا الحاضر، ومن أعظم الروافد المبدعة في تاريخ الإنسانية العلمي والفكري على الإطلاق.

ولد جلال الدين في مدينة بلخ التاريخية العريقة شمال شرقي أفغانستان الحالية الواقعة إلى جوار مدينة مزار شريف في السهول الخصبة المروية من أحد، روافد نهر جيحون. وكانت ولادته على الأرجح في 6 ربيع الأول 604 من الهجرة النبوية الشريفة (أيلول 1207م).

وينتسب جلال الدين من ناحية الأب إلى أبي بكر الصديق(رض) الخليفة الأول لرسول الله (ص). وفي هذا رمز هام لالتزامه بالإسلام كما هو عند الله وكما بلغه وعلمه رسوله، وكما نفذه من بعده الصحابة الكرام (رضي الله عنهم). وينتسب من ناحية الأم إلى أسرة خوارزم شاه التي كانت تحكم إقليم ما وراء النهر وقاومت المغول وحافظت على الإسلام في وجه الخرافات المختلفة.

وكان والده (محمد بن الحسين الخطيبي) المدعو (بهاء الدين ولد) مرجعاً معتبراً في أمور الفتوى الإسلامية في بلده، ومدرساً معروفاً وواعظاً، احتشد الناس حوله لتلقي دروسه وسماع موعظاته. وعلى رأسهم (خوارزم شاه) والعالم المفسر الكبير (فخر الدين الرازي). وكان من أتباع مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان. ولقّب الوالد بسلطان العلماء. وهاجم الفلاسفة والمتكلمين في زمنه[1].

ويبالغ بعض الكتاب (من وجهة النظر الصوفية) في وصف والده بأنه سلطان العلماء وصوفي الوعاظ. وأنه كان يقول لإمام المعقولات في بلدته (الفخر الرازي) وهو من نزلاء بلخ: ((إنكم ظواهر لا قيمة لها، وإنكم محرومون من هبة إدراك الحقائق))[2].

وبالطبع فقد تلقى جلال الدين تعليمه في أول الأمر على يد أبيه، ثم على يد أحد أصدقاء أبيه (برهان الدين محقق الترمذي).

كانت بلخ في تلك الفترة تحت حكم أسرة خوارزم شاه (470-628هـ/1077-1231م) التي كانت تتبع سلطنة السلاجقة، وعلى يد هذه الأسرة حدثت صراعات في المنطقة حتى حاولوا التمرد على الخلافة وسلطنة سلاجقة خراسان وما إليها من بلاد الري والجبل وما وراء النهر. وزال حكم هذه الأسرة على يد التتر[3].

إذاً كانت بلخ تقع في منطقة صراع سياسي وفكري حتى يقال أن علاء الدين محمد تشيع سنة 614هـ/1217م كأسلوب للتمرد على الخلافة العباسية. وكان سلوكه ومن بعده سبباً من أسباب الضعف الإسلامي أمام المغول سنة 628هـ/1231م.

---

* Ba's Üniversitesi, Humus-Suriye, kareembitar@yahoo.com

1 -محمد عبد السلام كفافي: مثنوي جلال الدين، ج2/1.

2 هبة الله الغلاييني: جلال الدين الرومي شاعر الصوفية الأكبر، مجلة المعرفة، دمشق ع(524)، 1428هـ/2007م.

3 مطلق العتيبي: ملخص التاريخ الإسلامي، ص94.

وكانت الفارسية منتشرة في ذلك الوقت في المنطقة رغم أن سكانها من أجناس مختلفة كالترك والفرس.

ومما يذكر أن ابراهيم بن أدهم الذي يعدّ من المتصوفة في القرن الثاني الهجري، كان مولده، ببلخ ثم خرج إلى الشام فأقام بها غازياً مرابطاً إلى أن توفي سنة 162هـ[1].

لقد كانت بلخ مدينة إسلامية اختلطت بها الشعوب المسلمة بلغاتها وأجناسها وأنتجت حضارة إسلامية. فكان لهذا الواقع تأثيره على تكوين أسرة جلال الدين وعليه أيضاً.

2- هجرة أسرة جلال الدين الرومي وآثارها على حياته:

لأسباب هذه الهجرة عدة روايات منها أنه تمكن بعض الشيوخ من زرع بذور الكراهية بين والد جلال الدين وحاكم البلاد (قطب الدين محمد خوارزم شاه ثم تسمّى علاء الدين 596هـ-617هـ/1199-1220م) فاضطر إلى الهجرة والنزوح عن بلاده.

ولكن يبدو أن العامل الأهم في حدوث الهجرة الواسعة من تلك البلاد في نظر بعض الكتاب، كان اقتراب الخطر المغولي الجارف الزاحف من الشرق والذي كان يحرق المدن ويدمر القرى ويقضي على كل مظاهر الحياة والمعاش. ولذلك كانت بلخ مدينة مهددة. وإن كانت الأسرة هاجرت للنجاة من خطر المغول فإنها استقرت بعد التطواف في مدينة قونية عند سلاجقة الروم الذين يتولون مقاومة الروم والبابوية وملوك أوروبا الذين كان لهم دور في تحريض المغول أيضاً.

3- مسيرة هجرة الأسرة والمحطات حتى قونية وتأثيرها:

عندما هاجرت الأسرة عام 609 هـ كان جلال الدين طفلاً صغيراً عمره خمس سنوات واستمر التنقل والترحال حتى عام 625هـ حينما استقرت في قونية وقيّض لها أن تجد نصيراً وحامياً في شخص الأمير السلجوقي.

لقد كانت رحلة طويلة باتجاه الغرب مركز البلاد الإسلامية، وتوقفت أثناء طريقها في بعض المحطات من حواضر العالم الإسلامي: فشاهد جلال الدين أوضاع البلاد واطلع على مصائبها. في نيسابور من بلاد خراسان التقى الطفل ووالده بالشاعر العرفاني الكبير (فريد الدين العطار) في سوق العطارين، ومن ثم تنبأ العطار بالمستقبل الروحي العظيم لهذا الطفل. فقد دهش العطار بإدراك هذا الصغير وأهداه كتابه (أسرار نامة) وقال لوالده: (إن ابنه هذا سيضرم النار سريعاً في هشيم العالم)[2]. وفي بغداد مركز الخلافة الإسلامية العباسية وعاصمة الدولة الإسلامية كان الاجتماع بأبي شهاب الدين السهروردي صاحب (عوارف المعارف)[3]. وفي الكوفة : كان توقف قصير. وفي دمشق كان الاجتماع بالشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي.

ثم كانت رحلة الحج وزيارة (مكة المكرمة والمدينة المنورة) وزيارة القدس أيضاً. وفي (أرزنجان) بمنطقة هضبة أرمينيا تم وضع عصا الترحال. ثم ذهبت الأسرة إلى ملطية حيث أقامت أربع سنين لتصل إلى المحطة الأخيرة قونية عاصمة سلطنة سلاجقة الروم في ذلك الحين.

دخل السلاجقة أرزنجان (وعلى رأسهم السلطان علاء الدين كيقباذ) سنة 625هـ وهي بلدة تابعة لقونية. وكان عمر جلال الدين (21) سنة. وهي قرمان الآن؟ وبناء على رغبة السلطان وإكراماً لهما، كان استقرار بهاء الدين ولد وابنه جلال الدين في قونية سنة 626هـ/1229م. وقد اسند السلطان علاء الدين لبهاء الدين ولد منصباً من مناصب التدريس في قونية.

وفي هذا التطواف، في مرحلة النشأة في بلخ، إلى الاستقرار في قونية الذي استغرق 21 سنة من عمر جلال الدين، لابدّ أن نبحث عن المؤثرات المختلفة في حياته هذه وهي مرحلة التلقي والتعليم والتدريب. فنلاحظ أنه نشأ في بلاد خراسان في وسط يغلب عليه الثقافة الإسلامية. في اللغة الفارسية التي كانت لغة إسلامية في المشرق إضافة إلى اللغة العربية الأساسية. ونلاحظ أن جلال يعرف تماماً أنه في عالم إسلامي واحد رغم تنوع المظاهر والحكومات المحلية، فالجميع ضمن دولة واحدة عمرها أكثر من ستة قرون عاصمتها بغداد، وثقافة واحدة إسلامية على رأسها الخليفة العباسي، وخلافة العباسيين كان قد مضى عليها (500) سنة يخطب لها على منابر المساجد في العالم. وإن خط سير جلال

---

1 - أسعد الخطيب: البطولة والفداء عند الصوفية، ص63.

2 - فيه ما فيه /12.

3 - فيه ما فيه /13.

الدين يوضح هذا الترابط.

وإذا نظرنا إلى العقيدة السائدة والمذهبية الفقهية الغالبة لوجدنا أنها العقيدة الجماعية غير المتعصبة أو المتشيعة ويطلق عليها (أهل السنة والجماعة) أي الملتزمة بالأصول في إتباع الرسول والالتزام بالجماعة دون التعصب لفلان أو فلان. ومن الناحية الفقهية كانت من أتباع مذهب الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان صاحب المذهب الأول الأساسي في الفقه والمستمد في العاصمة الثانية للدولة (الكوفة) في عصر الخليفة الراشدي الرابع (رض).

4ـ آثار سياسة السلاجقة الإسلامية وامتدادها في الأناضول:

لقد كان السلاجقة، مثل السامانيين والغزنويين، يريدون أن يظلوا أمراء مسلمين سنيين تابعين للخليفة، يباعدون بين أنفسهم وشبهة الميل إلى إحياء التقاليد والنظم الإيرانية قبل الإسلام. ولم يستعمل لقب (شاهنشاه) إلا آل بويه وهم شيعة بغداد وغرب إيران. أما السلاجقة اتخذوا لقب (سلطان الإسلام) وفي عهدهم صار لكلمة (سلطان) معنى معيّن لم يكن لها من قبل، إذ بدأت في عهدهم تطلق على الحاكم المسيطر المستقل، على حين كانت كلمة (ملك) و(شاه) تطلقان على الحكّام التابعين وحكام الإقليم. وكان العالم الإسلامي يعتبر كلاً وعليه رئيس ديني هو الخليفة ومن بعده (سلطان الإسلام) الذي يوليه الخليفة السلطة الزمنية[1].

لقد مهدت حملات السلاجقة في آسيا الصغرى السبيل أمام الأتراك العثمانيين فيما بعد، لدحر الروم والقضاء على الدولة الرومانية الشرقية، فكان لهذا كله أثر بعيد في توجيه تاريخ كثير من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، وفي تكييف حضارتها ومستقبلها ما زال بعضه ملموساً إلى الوقت الحاضر[2]، وكان لسلاطين السلاجقة وللوزير نظام الملك دوراً، وكان أهم أهداف السلاجقة فتح المناطق غير الإسلامية في الشرق والغرب وخاصة في بلاد الروم. فكانت جهودهم الضربات الأولى لسقوط دولة الروم. وأخذ الإسلام والحضارة الإسلامية ينتشران في أجزاء بلاد الروم التي فتحها السلاجقة في آسيا الصغرى. وبدأت اللغة الفارسية تنتشر فيها. فقد كانت الفارسية هي لغة الجنود الفاتحين لهذه البلاد وهي اللغة الإسلامية التي تلي العربية في أهميتها (في ذلك الوقت). وقد مهد انتشارها لظهور اللغة التركية الحديثة بعد ذلك. وكان هذا كله بداية لتطور جديد في تاريخ الحضارة الإسلامية بصفة عامة، ظهرت ثماره بعد ذلك على أيدي الأتراك العثمانيين[3].

يقول المستشرق الروسي و. بارتولد: ((وقد كان أحفاد سلجوق بوصفهم (سلاطين الإسلام) أشد دفاعاً عن الإسلام وعن أهل السنة من القراخانيين الذين حلّت الأبجدية العربية في كتابة لغتهم، بل كانوا لذلك حماة غيورين للمذهب الحنفي الذي أخذه الترك عن السامانيين حيث ساد في دولتهم.

ويقول: (ولم يكن أحفاد سلجوق يكتفون بوصفهم سلاطين الإسلام، بإعلاء كلمة الدين داخل حدود البلاد الإسلامية، بل كان عليهم أن يهزموا الأعداء في الخارج وأن يوسعوا حدود ديار الإسلام، وكان من الطبيعي أن يؤدوا هذا الواجب بصفة رسمية في غرب آسيا)، وهنا يغمز هذا المستشرق في وصفه لانتصاراتهم وجهادهم قائلاً: ((حيث كان هذا النصر والفتح مرتبطين بالمنافع الاقتصادية، ومن هذا القبيل حروبهم مع المسيحيين في الأناضول، وفي قفقاسيا، وحروبهم مع الشيعة في سورية ومصر)).

ولكنه يعترف بالأمر مرّة أخرى مع بعض الغمزات بقوله: ((وقد انتصر المسلمون في الصراع مع بيزنطة بعد أن رسخت أقدام الحكم التركي في بلاد خليفة الإسلام، وكان هذا النصر وثيق الصلة بالحكم التركي. فقبل ذلك بقليل، أي في عهد أسرة البويهيين الإيرانية (في النصف الأخير من القرن العاشر، والنصف الأول من القرن الحادي عشر)، استغل البيزنطيون "الروم" شدة الخلاف بين الشيعة وأهل السنة وفتحوا عدة أماكن في سورية وبين النهرين ولكن بعد أن توطد الحكم التركي في بلاد الخليفة، لم يفقد البيزنطيون ممتلكاتهم هذه فحسب، بل دخل الإسلام في الأناضول وتكوّنت به دولة إسلامية تركية. ودخلت غالبية سكان الأناضول في الإسلام.

ويكفي أن نذكر الأتراك الذين أرسلهم السلاجقة إلى حدود بلاد الروم لنقف على مدى اهتمامهم بتلك الحروب))[4]. ويقصد سلطنة سلاجقة الروم.

وفي عهد السلاجقة ظهرت أهمية المدن والثغور وازدادت أهميتها عبر الزمن لأنها تؤدي واجباً دينياً مقدساً هو صد

---

1 ـو. بارتولد: تاريخ الترك، ص105.

2 عبد النعيم محمد حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص2.

3 عبد النعيم محمد حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص58.

4 ـو. بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص109.

أعداء الإسلام عن الديار الإسلامية، مما أضفى عليها وعلى حكامها أهمية كبيرة وجعل ولاة الثغور موضع تقدير المسلمين ومدح الشعراء والكتاب[1].

5- أوضاع غرب الأناضول قبل وصول جلال الدين الرومي إليها (625هـ/1228م):

كانت غزوات المسلمين من الشرق إلى الغرب لاتتوقف وتمّت في عهد السلاطين السلاجقة العظام منذ ألب أرسلان لمواجهة الروم. وعندما وطأت قدما جلال الدين الرومي أرض قونية واستقر به المقام فيها، كان ذلك عام 625هـ/1228م. وكان عمره 21 سنة.

وكانت قونية عاصمة حكومة إسلامية هي سلطنة سلاجقة الروم (470-704هـ/1077-1304م). وقد سميت هكذا لأنها قامت على أرض كانت يسميها المسلمون بلاد الروم، وهي منطقة الأناضول التي سميت آسيا الصغرى فيما بعد. وهذه السلطنة قاومت الروم والحملات الصليبية وحصرتهم في الركن الشمالي الغربي من آسيا الصغرى، ولكنها دمرت على يد الغارات المغولية المتلاحقة.

كان هذا العصر مضطرباً ويبحث عن الأمن والاستقرار ولذلك نرى جلال الدين يقول: (تعال... تعال أيا كان اعتقادك، تعال.... هي عتبة سنتجاوزها معاً حتى وإن كنت أخللت بالتزامك وعهدك وتخليت عن قسمك تعال....)) الديوان الكبير 15489.

كانت قونية عند وصول جلال الدين تحت حكم علاء الدين كيقباذ بن ملكشاه الأول الذي مثّل حركة نهضة جهادية (616-634هـ/1219-1236م) وهو الحاكم الثاني عشر من هذه السلطنة السلجوقية التي أسسها سليمان بن قطلمش (470-485هـ/1077-1092م) وقد استمرت حتى عام (700هـ/1300م) حيث ورثتها الدولة العثمانية التي تسلمت بعدها قيادة الجهاد ومتابعة خطوات السلاجقة والمحافظة على راية الخلافة الإسلامية.

ويحفظ التاريخ لعلاء الدين كيقباذ صيتاً أكثر بريقاً من السلاجقة الآخرين، فقد حقق انتصارات على شواطئ البحر الأسود الشمالية، واستطاع توحيد آسيا الصغرى، وتوسّع في الجزيرة العليا وفي شمال الشام.

وكان انتصاره الأكبر ضد جلال الدين منكبرتي ابن خوارزم شاه محمد الذي أخرجه المغول من بلاده والذي لم ينهزم من قبل في وجه أي قوة مغولية، مما أعطى كيقباذ السمعة بأنه السلطان الذي لايقهر. ثم توسعت سلطنة السلاجقة شرقاً لمواجهة المغول.

وأصبح كيقباذ في أوجه سلطان آسيا الصغرى دون منازع. وقد خضعت له الدول المسيحية المجاورة. وفي آخر أيامه ظهر الخطر المغولي إذ توفي سنة 634هـ/1237م[2]. وقد غزا المغول الأناضول بين عامي 634-638هـ/1237-1240م واستطاعوا أن يجعلوا سلاجقة الروم تحت نفوذهم فيما بعد.

ويزيد ابن العبري في وصفه: (إنه كان عاقلاً عفيفاً ذا بأس شديد على حاشيته وأمرائه)). وفي عصر علاء الدين كيقباذ بدأت طلائع المغول تصل إلى أطراف العراق والجزيرة وتصدت لهم القوى الإسلامية وهم جنود الخلافة الإسلامية العباسية. ومنهم سلاجقة الروم. وفي هذا العصر وصل جلال الدين الرومي إلى قونية واستقر بها سنة 625هـ/1228م.

لقد كان الجهاد ضد الروم واضحاً في كل حركة، حتى أن ألقاب سلاطينهم كانت ذات معاني دفاعية عن الدين أمام العدو الخارجي مثل (علاء الدين وغياث الدين وركن الدين وقطب الدين وعز الدين) وهي مثل ألقاب الزنكيين والأيوبيين (نور الدين وصلاح الدين). ولقبهم الرسمي (السلطان) مستمد من تكليف الخليفة العباسي لأرطغرل في الأمور التنفيذية في البلاد الإسلامية، وأهمها توحيدها تحت سلطة واحدة، وحمايتها ومواجهة أعدائها. كما نجد سلاجقة الروم استخدموا المظلة السوداء لون الخلافة العباسية. وتلقوا الشرعية من الخليفة. ولا شك أن أخبار جهاد السلاجقة كانت تصل إلى المشرق الإسلامي ويتأثر بها سكانه ويندفع كثيرون منه للمشاركة في التصدي للصليبيين والروم ومشاركة إخوانهم في بلاد الشام وغيرها. حتى أن عز الدين قليج أرسلان (551-584هـ/1156-1188م) قد سمّى نفسه سلطان العرب والعجم.[3]

---

1 -عبد النعيم محمد حسين: سلاجقة، 164.

2 ..... كلود كاهن: .....

3 -كلود كاهن: ، ص .

6 مجاهدة السلاجقة للروم والمغول منذ مجيء جلال الدين (625هـ) وتأثيرها عليه:

استلم السلطنة بعد علاء الدين كيقباذ ابنه غياث الدين كيخسرو (الثاني) وهو الثالث عشر (634-643هـ/1236-1245م) وتابع سياسة ضبط البلاد والصراع مع القوى المختلفة. وكان المغول قد وصلوا إلى تخوم بغداد. فجهّز السلطان غياث الدين جيوشاً إلى أرمينية فامتنع المغول من الدخول إلى بلاد سلطنة الروم سنة (637هـ/1239م). 1240/638م.

وقد حقق غياث الدين سلطة تعادل ما حققه أبوه وواجه الدعوات المنحرفة كتمرد بابا اسحق مدعي النبوة لمدة سنتين وسبب الفساد في البلاد حتى قضى عليه وقد عطل ذالك الجيوش الإسلامية عن مواجهة أعداء الخارج وخاصة المغول الذين وصلوا في هذه الفترة. وخسر السلاجقة أمامهم في معركة قرب أرزنجان 640هـ/1243م[1]. واحتل المغول عدداً من المدن وفعلوا فيها ما فعلوا حتى أنّ سكان ملطية المسيحيين ومنهم ابن العبري داروا التتر وبقوا في المدينة[2]. ورغم هزيمته حافظ على استقلاله بمصالحة المغول ودفع جزية ثقيلة لهم حتى توفي سنة 643هـ/1245م.

واعتمد المغول على الأقليات غير الإسلامية وبعض الفرق الإسلامية مثل ملك الأرمن الذي حالفهم. واستمر المغول في هجومهم على البلاد الإسلامية حتى أنهم هاجموا بغداد سنة(642هـ) وفشلوا. واستمر غياث الدين في التصدي لهم ولمن يساعدهم ويرحب بهم من الأرمن في طرسوس وغيرهم.

بعد وفاة غياث الدين كيخسرو الثاني، استلم السلطنة ابنه عز الدين كيقاوس (643-655هـ/1245-1257م) فحاول مصانعة المغول في الوقت الذي يتصدى فيه للأرمن والروم. كما استنجد بالسلاطين المماليك في مصر. وسلط عليه المغول أخاه ركن الدين قليج أرسلان فكثرت القلاقل وحدث النزاع والصراع بين الأخوين وشاركهما أخوهما الثالث علاء الدين. وصانع ركن الدين المغول (655-666هـ/1257-1267م) فأصبح تحت سيطرتهم عن طريق ممثل لهم يدعى (برواناة).

وأرسلت بعثة إلى الخليفة في بغداد. وبقي اسم الخليفة وحده يظهر على النقود دون اسم السلطان أو الحاكم المغولي. فقد انقسم السلاجقة بين مسالم ومصانع للمغول، وبين دعاة المقاومة لهم والمجاهدين الذين هزموا أمما التحالف المغولي الأرمني[3].

وفي عهد الصراع والنزاع بين عز الدين وأخيه ركن الدين دمر المغول بغداد واستباحوها عام 656هـ/1256م وهي عاصمة الخلافة الإسلامية منذ أكثر من (500)عام. إنهما خضعا لهولاكو الذي استعان أيضاً بطوائف الأرمن والنصارى وغيرهم، كما تعاون المغول مع امبراطور القسطنطينية والفرنج.[4]

بعد سقوط بغداد انقسمت سلطنة سلاجقة الروم إلى قسم شرقي وقسم غربي للأخوين ركن الدين وعز الدين اللذين شاركا في حملة المغول على الشام وقضيا وقتاً طويلاً مع هولاكو.

ولما انتصر المسلمون في عين جالوت 658هـ/1260م على المغول، سيطر ركن الدين على قونية، والنفوذ المغولي واضح، ولم يسيطر على كامل البلاد. وبدأت تظهر إمارات تركمانية جديدة مثل (قرمان) التي بقيت (200) سنة[5]. ثم قام **برواناة** بخلع ركن الدين والوصاية على ابنه غياث الدين كيخسرو (الثالث) (666-682هـ/1267-1283م).

واستمرت مقاومة السلاجقة للمغول وكان التعاون مع سلطنة مصر والاستنجاد بالسلطان الظاهر بيبرس فانتصر على المغول عام (677هـ/1277م) وفي معركة غرب الأناضول (البستان) ونصب نفسه على عرش السلاجقة واندفع فاتحاً في آسيا الصغرى، ولكنه انسحب عندما رأى التركمان لا ينتفضون ضد المغول. ولكنهم ثاروا بعد انسحابه. ومع ذلك عاود المغول بسط سيطرتهم بعد وفاة بيبرس وأصبحت السيطرة المغولية أكبر وكأنها حكم مباشر، وكان الرومي قد توفي.

إذاً بدأ ما يمكن تسميته بالحكم المغولي المباشر في 678هـ/1278م. وتصدى السلاطين المماليك بقيادة قلاوون للمغول بمساعدة القرمانيين وردّ حملة المغول عام 681هـ/1281م عن بلاد الشام. ووصل المماليك إلى ملطية في أواسط الأناضول.

وانقسم السلاجقة مرة أخرى إلى قسمين فالشرق للسلطان غياث الدين مسعود (682هـ-696هـ/1283-1296م) والغرب لأبناء كيخسرو. وكان غياث الدين مسعوداً يتعاون مع المغول لفرض سيطرته. ثم يعاود التركمان مقاومة المغول وسياستهم حتى انتهت السلطنة السلجوقية عندما مات غياث الدين مسعود عام 704هـ/1303م فورثها العثمانيون وورثوا

---

1 - ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص441.
2 -ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص447.
3 كلود كاهن: ،ص .
4 ابن العبري: المرجع السابق، ص488 535.
5 -كلود كاهن: ،ص .

مسؤولياتها الجهادية.

ولم يؤد غضب المغول وهجماتهم المتكررة إلى اقتفاء الإمارات التركمانية، بل العكس هو الذي حصل إذ ظهرت إمارات عديدة منها قرمان ومنتشا وايدن وساراقون وكارازي وعثمان. مما يعني استمرار روح المقاومة والجهاد ضد المغول والروم. ولما كان هجوم المغول من الشرق فقد أدّى إلى تجمّع المجاهدين على حدود الروم لتنشأ السلطنة العثمانية التي وحّدت البلاد وقادتها كزعيمة للعالم الإسلامي[1]. وقد سمّى بعض المؤرخين هذه الإمارات أو الدويلات الصغيرة (ملوك الطوائف)[2].

7- توجيهات جلال الدين للحكام السلاجقة في قونية:

لم يكن توجيهه الإرشادي ينحصر في عامة الناس، لكنه كان يوجه العلماء والوزراء والأمراء، ومن ذلك توجيهه للوزير برفانة (معين الدين سلمان من مهذب علي الديلمي من كبار رجال سلاجقة الروم ووزرائهم وقتل على أيدي المغول (675هـ). وربما وبّخه بكلمة أو رسالة.[3]

يقول مولانا الرومي: قلت للأمير برفانة: إنك في أول الأمر برزت بطلاً للإسلام، إذ قلت سأقدم نفسي فداء، سأضحي بعقلي وتدبيري ورأيي من أجل بقاء الإسلام، وكثرة أهل الإسلام لكي يستمر الإسلام آمناً وقوياً. ولكن عندما اعتمدت على رأيك ولم ترَ الحق، ولم تنظر إلى كل شيء على أنه من الحق، جعل الحق تعالى ذلك السبب والسعي نفسه سبباً لنقص الإسلام، فقد حالفت التتار وقدمت لهم العون ، لتفني الشاميين والمصريين، وتخرّب دولة الإسلام، ولذلك فإن الله سبحانه جعل ذلك الذي كان سبباً لبقاء الإسلام سبباً لاضمحلاله. وفي هذه الحال توجه إلى الله عز وجلّ الذي هو محمل الخوف وتصدق لعل الله يخلصك من حال الخوف السيئة هذه ولا تقطع الرجاء منه، برغم أنه ألقاك من مثل تلك الساعة في مثل هذه المعصية.[4]

8- عصر جلال الدين وأثره:

وهكذا نلمس أن شخصية جلال الدين الرومي تكونت من خلال ثقافة إسلامية مجاهدة فكرياً وقتالياً، ومن خلال أحداث التاريخ الإسلامي البعيدة والأحداث القريبة والكبيرة التي عاصرها إذ كان في مركز هذه الأحداث.

يُعد عصره من أقسى ما مرّ على البشرية من عصور (القرن السابع الهجري/13ميلادي) وهو القرن الذي شهد غارات المغول المدمرة على العالم الإسلامي. فقد انطلقت جحافلهم تدك معالم الحضارة وتبيد صروح المدنية بصورة لم يعرف مثيل لها من قبل.[5]

وقد عاش الشاعر قريباً من مسرح تلك الحوادث، ومع ذلك وجد في نفسه تلك الطاقة الهائلة على الإنتاج الأدبي، وبقي رغم الحوادث الوحشية مؤمناً بالإنسان، وبأصله الإلهي، ناظراً إلى البشرية كلها نظرة الحنان والعطف، مسخراً كل ملكاته للنهوض بها من كبوتها وتخليصها من ذلك المصير الذي انتهت إليه.[6]

ويمكن القول أن الحركات الفكرية التي بدأت في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي بالأناضول قد تمخضت عن بعض الشخصيات الكبيرة التي عاشت في القرن الثالث عشر، منها الشاعر (التركي) الخالد صاحب المثنوي جلال الدين الرومي.[7]

9-أثر أوضاع الأناضول على جلال الدين ودوره في النهضة الجهادية: 625 272هـ:

عندما وصل جلال الدين إلى قونية سنة 625هـ مع أسرته كان شاباً عمره (21) سنة. وفي عام 628هـ/1231م توفي

---

1 -كلود كاهن: ،ص .

2 أحمد السعيد سليمان: المرجع السابق، ج2/387.

3 -الشمس المنتصرة /75.

4 فيه ما فيه / 32.

5 انظر حول ذلك: ابن الأثير: الكامل في التاريخ.
والمؤرخ الإنجليزي ماثيو باريس (راهب) Matthew Paris الذي كتب في ذات الوقت تقريباً (1235-1259) ووصف غارات المغول بأسلوب يتفجر من الرعب.

6 محمد عبد السلام كفافي: المرجع السابق، ج1/9.

7 -محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية، ص110.

والده، فخلفه ابنه الشاب في الفقه والإفتاء والتدريس (على المذهب الحنفي) وكان ذلك مساعداً له على زيادة التحصيل والتكميل.

ولكن جلال الدين أحس بالغربة واكتنفه الحزن وخيبة الأمل. لكن شخصية كانت قد قدمت للتو من بلخ في خراسان سنة 629هـ، فملأت هذا الفراغ وسلت عن نفس جلال الدين. وكانت تلك الشخصية صديقاً قديماً لوالده، وهو العالم (برهان الدين المحقق الترمذي)، وأحد تلاميذه ومريديه في بلخ، فاعتنى عناية خاصة بالشاب، فتتلمذ جلال الدين على يديه لبضع سنين. واقترح عليه السفر إلى الشام لزيادة تحصيله. ولذلك سافر جلال الدين بناءً على نصيحته إلى حلب وبقي فيها مدة. ثم توجه إلى دمشق وأقام فيها سنوات. وقد يكون التقى بالعالم والصوفي الأندلسي الكبير (محيي الدين بن عربي) وهو الأرجح. وقد حصل جلال الدين في هاتين المدينتين تحصيلاً علمياً وأدبياً وخلقياً كبيراً. وكانت الشام في هذه الفترة في حالة نهضة جهادية وعلمية للتصدي للصليبيين الفرنجة وظهرت فيها الشخصيات القيادية العظيمة كعماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود ثم صلاح الدين الأيوبي.

وبعد عودته إلى قونية كان جلال الدين يمثل مظهر العالم المتأثر بالتصوف الحريص عليه. وكلفه برهان الدين (الذي استمرت صحبته له تسع سنوات 629-238هـ) بخلوات، وكان يريد إعداده ليكون مرشداً صوفياً عارفاً. لكن برهان الدين توفي سنة 638هـ بعدما جعل من جلال الدين عملاقاً لايضاهى في العلوم العقلية والتجريبية. وحتى تلك السنة وقد بلغ جلال الدين (34) سنة، فقد كان واعظاً وعُدَّ من الفقهاء الأحناف. ولكن بعد أن قارب الأربعين اختلف إنتاجه العقلي اختلافاً كلياً عن إنتاجه السابق، إذ أصبح صوفياً فناناً شاعراً وحكيماً أخلاقياً وفيلسوفاً إنسانياً.

وتصور المصادر التاريخية هذا الانتقال بأنه كان فجائياً بسبب لقائه بالتبريزي سنة 642هـ الذي أثر عليه . فلم يكن قبل ذلك ينظم الشعر ولم يتبع طريق الصوفية. ثم أصبح أعظم شاعر متصوف في التاريخ الإسلامي نشأ خارج البلاد الفارسية.[1]

ولعل النضج الذي بلغه الرومي عند مقاربته الأربعين ساعده على فهم الواقع الصعب الذي يعيشه المسلمون وتمر به البلاد من أخطار خارجية، وتفتحت لديه طريقة لبعث النهضة الجهادية والمشاركة فيها من موقع العالم المسؤول.

10- أثر التبريزي وآخرين في حياة جلال الدين:

وما هي إلا فترة يسيرة حتى اتصل جلال الدين بالمتصوف المغمور والدرويش الجوال المدعو شمس الدين التبريزي فاجتذبه اجتذاباً كلياً إلى حياة التصوف، فوسم جلال الدين ديوانه في مابعد باسم (شمس الدين) هذا: (ديوان شمس الدين تبريزي).

ففي يوم الاثنين 26 جمادى الثانية 642هـ/1244/10/25م ظهر في قونية (محمد بن علي بن ملك داد (شمس الدين تبريزي) ابن الستين عاماً. وكان يتنقل من تبريز إلى بغداد إلى دمشق إلى قونية كصوفي مغمور. وبينما كان الرومي عائداً من المدرسة التي يدرس فيها إلى داره، ويحف به موكب التلامذة والعلماء وجمع غفير من الناس، تقدم هذا الدرويش الغريب إلى الراكب المحتفى به ومسك زمام بغله موقفاً إياه في قارعة الطريق، وطرح عليه أسئلة ثم جرت معه مناقشات في دار الرومي وسرعان ما أصبحا في تلازم دائم. وانسحب الرومي من غمار المجتمع ومشكلاته وتخلى عن التدريس والإمامة والتزم مع التبريزي[2].

وبعد أشهر قليلة غادر التبريزي مدينة قونية إلى دمشق من جراء حسد الأعداء وكثرة القيل والقال، فتدهورت معنويات الرومي، ولكن التبريزي عاد بإلحاح ورجاء من الوفد الذي أرسله الرومي وعلى رأسه ابنه. وفي عام 645هـ/18أيار 1247م استقبله وعادت المناقشات معه من جديد. ولكن التبريزي اختفى أو قتل سنة 645هـ/1247/12/5 فارتدى الرومي جبة رمادية اللون ولف نفسه بعباءة سوداء وكرس حياته للسماع والرقص الصوفي واستغرق في الوجد[3].

وبعد وفاة التبريزي 645هـ التقى جلال الدين بالصائغ صلاح الدين زرقوب الذي ترك متجره وتجرد للرومي. ولكنه توفي سنة 657هـ فعاد الحزن للرومي.

ثم التقى بحسن حسام الدين بن محمد توركالي (622-683هـ) فتولع به كثيراً وأعانه في إظهار إنتاجه الضخم (المثنوي) إلى حيز الوجود، وخلفه في رئاسة الطريقة المولوية بعد وفاته.

---

1 -كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص397. ومحمد عبد السلام كفافي: المرجع السابق، ج4/1.

2 -محمود أبو الهدى الحسيني: العارف جلال الدين الرومي نبذة عن سيرته وفكره، مجلة الثقافة الإسلامية، ع/96، 1425هـ/2004م. ص187.

3 -علي حسون: جلال الدين الرومي، مجلة الآداب الأجنبية، ع/77 78، 1994م.

11- جلال الدين الرومي وإمارات الغزاة:

حين زالت دولة سلاجقة الروم ضم أمراء قرمان أملاكها واتخذوا من قونية عاصمة لهم، وبالتالي أخذت دولتهم بالتقاليد السجوقية، بل ادعى حكامها أنهم الورثة الشرعيون للسلاجقة وطالبوا بأن يكون لهم وضع بارز بالنسبة إلى إمارات المغول[1]. فإن أحد حكامها علاء الدين بك سمي بالسلطان الأعظم و(سيد سلاطين العرب والعجم). وتزوج بنت السلطان العثماني مراد الأول سنة 783هـ/1381م) واستمر في محاربة العثمانيين.[2]

واستمرت قونية بيد القرمانيين حتى ألحقت بالبلاد العثمانية بشكل نهائي منذ عام 871هـ/1466م وانقرضت دولة القرمانيين سنة 888هـ/1483م.

استمراراً للنهضة الجهادية التي قادها السلاجقة ضد الروم وعملهم على توحيد البلاد الإسلامية تحت قيادة الخلافة العباسية، فقد تابعت إمارات الغزاة في غربي الأناضول سياسة الجهاد التي ضعفت فترة.

يقول كارل بروكلمان: ولكن مثل الجهاد ما لبثت أن بعثت من مرقدها في الثغور كرة أخرى، إذ برح آسيا الصغرى في إثر المغول عدد من زعماء الدين ورؤساء الطرق الصوفية ونزلوا بلاد الأناضول. وهناك أحيوا فكرة الحرب المقدسة (الجهاد) ضد البيزنطيين (الروم)، في حين انهمك هؤلاء في استعادة سلطتهم على البلقان ، مفرطين بذلك في جانب الدفاع عن آسيا الصغرى. وهكذا اجتاح الأتراك (المسلمون) غربي آسيا الصغرى، من جديد، وأقام أمراء الغزاة دويلات مستقلة في مختلف المقاطعات. فمنهم على سبيل المثال القرامانيون والكرمانيون والحميديون وصاروخان. وقد بلغوا أكثر من عشرين إمارة.

واستمرت هذه الإمارات تحت قيادة سلطنة سلاجقة الروم، فلما سقطت على يد المغول، استلمت قيادتها ووحدتها إمارة بني عثمان، وبينما كان الغزاة السابقون يتقدمون براً، نلاحظ أن بعضها كان بحرياً.[3]

ومع انتشار السلاجقة على بر الأناضول، انتشرت، حسبما كانت تفرضه الطبيعة الفكرية والسياسية لساكني الثغور، الربط والزوايا الصوفية والجماعات الآخية، على شكل تجمعات سياسية، كانت تعمل بمختلف أنشطة الحياة من تجارة وزراعة وحرف.[4]

وكان من الطبيعي أن يكون التصوف قاعدة التضامن لمواجهة ظلم الطغاة، وتحولت تلك التضامنات في ظروف الخطر الخارجي، إلى عصبة مجاهدة في سبيل الله. فكنت تجد أهل الحرف في مدن الأناضول ينتظمون في نقابات (الآخية). ومعظم الإمارات الصغيرة كانت بمثابة (دول مجاهدة) نذرت نفسها لمحاربة (ديار الكفر)[5].

ومع ضعف الدولة المركزية (السلجوقية) ازدادت سلطة الفتوة كحركة شعبية جهادية، لعبت دوراً متزايداً في المنافسات بين شخصيات المدن المتنافسة. وكذلك كانت العلاقات الداخلية ضمن تنظيمات الفتوة والآخيات والرنود والسلطات متعددة.

وكانت علاقة الفتوة بالمهن وبالصوفية مستمرة. وكانت الفتوة تشبهاً بالخليفة الناصر الذي شجعها حيث لم تخل مدينة عراقية أو إيرانية من الفتوة. وأطلق عليها الترك في إيران والأناضول اسم (الأخوة). وقد استمالت الصوفية المجاهدة المدن الإسلامية ونظمت نفسها في تنظيمات أخوية، وتبنت الفتوة بعض أساليب الصوفية والعكس أيضاً. وكذلك تنظيمات الحرف. وتعاونها مع الفتوة والمتصوفة.[6] وكانت تنظيمات الفتوة جماعات مستقلة غير حرفية، اجتماعية لا دينية، ضد السلطات، وكانت قوتها تزداد مع ضعف الدولة المركزية.

ومثلما ساهم علماء المسلمين من المتصوفة في إسلام المغول، وانتشرت الطريقة المولوية وزواياها في معظم المدن والقرى في آسيا الوسطى، فإنهم ساهموا في دفع المسلمين إلى مجاهدة الأعداء، وليس صحيحاً ما ذكر عن تكاسل بعض الصوفية.[7]

---

1 -Giblas , foundations of ottoman enpise p. 263

2 - أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية، ج2/415.

3 - كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص406. وهاملتون جب : التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى، ص41.
وانظر: سعيد أحمد برجاوي: الإمبراطورية العثمانية، ص19. عن إمارات الغزاة.
وأحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلاميةج2، ص385.

4 - السيد محمد السيد: دراسات في التاريخ العثماني، ص40.

5 شمس الدين الكيلاني: الحدث العثماني، مقدمة تاريخية في سياسات القوة، مجلة الاجتهاد، ع42/41، 1419هـ/1999م. وهاملتون جب: المرجع السابق.

6 كلود كاهن: ، ص .

7 أسعد الخطيب: البطولة والفداء عند الصوفية، ص133.

12 ظهور العثمانيين في عصر جلال الدين وجهادهم للروم وعلاقتهم بقونية:

لما توفي جلال الدين سنة 672هـ/1273م كان العثمانيون في بداية ظهورهم كأسرة تقود فئة إسلامية مهاجرة إلى الأناضول وبدأت تساهم في مجاهدة الروم مع سلاجقة قونية وإمارات الغزاة انطلاقا من أمام القسطنطينية.

وتوفي أرطغرل متجاوزاً التسعين من عمره سنة (687هـ/1288م) فخلفه أكبر أولاده الثلاثة عثمان بك المولود في سكود سنة 656هـ/1258م وهو عام سقوط بغداد بيد المغول. وهو الذي نسبت إليه الدولة فيما بعد فقيل (الدولة العثمانية)، وهي التي قامت كما يقول جمهور المؤرخين سنة 699هـ/1299م[1]. حيث نودي له بالسلطنة فيما بعد سقوط سلطنة سلاجقة الروم وسار على سياسة أبيه في مجاهدة الروم والتوسع في أراضيهم.

واستمرت أكثر من (600سنة) حتى عام 1343هـ /1924م كان منها أكثر من (400) سنة تتولى فيها الخلافة الإسلامية أي مسؤوليات الإسلام والمسلمين في العالم.

يقول كارل بروكلمان: كان العثمانيون من بين أولئك الأتراك الذين حملوا راية النضال ضد البيزنطيين (الروم)، فحظوا بنجاح خاص.[2]

وعندما استلم عثمان الإمارة عام 687هـ/1288م تابع الجهاد ضد الروم، فتقاطر المجاهدون من أرجاء آسيا الصغرى ومن القبائل التركية على اختلافها للانخراط تحت رايته، مما أتاح له الاستيلاء على قلعة قره جه حصار (688هـ/1289م). وعند ذلك كافأه السلطان السلجوقي بمنحه لقب بك، وأقطعه كافة الأراضي والقلاع التي سقطت بيده، وأجاز له ضرب العملة "ذكر اسمه في خطبة الجمعة"[3].

يقول بروكلمان: ومن قره جه حصار قاد عثمان شعبه القوي، الذي كانت ترفده القبائل التركية كلها على الدوام، بعناصر جديدة تزيد في قوته وحيويته، إلى بحر مرمرة والبحر والأسود وفي الوقت الذي كان فيه المغول منهمكين بالقضاء على سلاجقة قونية.[4]

ومن مدينة يني شهر صار عثمان يرسل الحملات ضد المدن الصغرى، ويتصدى للروم الذين استعانوا بالمغول أيضا حتى قتل آخر سلطان سلجوقي (700هـ/1300م) وهو علاء الدين كيقباذ الثاني فبايع أمراء الغزاة الأمير عثمان بالسلطنة التي تعتبر استمرارا للسلطنة السلجوقية المعتمدة من قبل الخلافة العباسية في بغداد ثم في القاهرة.

إذاً عاصر جلال الدين الرومي نشأة الإمارة العثمانية المجاهدة ومشاركتها مع إمارات الغزاة الأخرى التي بلغت أكثر من (20)إمارة مجاهدة فكانت المبادئ الفكرية التي دعا إليها الرومي في شعره نجدها متحققة في سياسة السلطنة العثمانية وحضارتها الإسلامية

13- دور العلماء في النهضة الجهادية في مطلع العهد العثماني:

ومما لاشك فيه أن السلطنة العثمانية قامت على مبدأ الجهاد ونهضت به وقام

بدور رئيسي في ذالك المتصوفة والدراويش الذين مثلوا الإسلام والنضال من أجل العقيدة في السنوات الأولى للعثمانيين والذين خسروا الكثير بقدوم العلماء .أي كانت المرحلة التالية دور علماء المسلمين القادمين من الشرق الذين بدؤوا بالتجمّع في أراضي العثمانيين في عهد أور خان .وهم الذين أسبغوا سمات الماضي البطولي الديني المحافظ.[5]

ففي السنوات الأولى للعثمانيين مثل الدراويش الإسلام والنضال من أجل العقيدة ولكن الأعمال الجهادية التي قام بها عثمان أكسبت إمارته شهرتها وثقة الناس من حولها فأخذت تفد إليها مجموعات من العلماء ومشايخ الطرق الصوفية والصناع المهرة والتجار مما أكسبها ثقافة مميزة وحركة تجارية نشطة جعلتها تحتل موقعها المتميز بين الوحدات السياسية التي انتشرت في الأناضول.[6]

وعلى الخصوص بين سقوط السلطنة السلجوقية. وهكذا فإن دور الإمارة العثمانية وموقعها والروح الإيمانية التي تميز بها أفرادها أمكن فهم العامل الذي جعل التوافد عليها كبيراً من قبل الغزاة التركمان من كافة أنحاء الأناضول[7].

---

1 - أحمد السيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية، ج441/2.

2 -كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص407.

3 محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص117 118.

4 -بروكلمان: المرجع السابق، ص408.

5 -جمال كفا دار :بين عالمين بناء الإمبراطورية العثمانية .قراءة عبد اللطيف الحارس، مجلة الاجتهاد ع(41/42/1419هـ 1999م .ص361 .

6 سيد محمد السيد: دراسات في التاريخ العثماني لعام 1996م، ص4 41.

7 عباس صباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص104.

ووضعت السلطنة العثمانية أمام عينيها هدف فتح القسطنطينية ونشر الإسلام في أوربا.

كانت القسطنطينية هدفاً لحملات الفتح الإسلامية والتي نظمت بشكل خاص منذ عهد الخلافة الأموية. واستمرت الحملات حتى كانت اللمسات الأخيرة على يد إمارات الغزاة وخاصة السلطنة العثمانية التي جعلت الحديث النبوي الشريف الذي يحض على ذلك.هدفها وهو (لتفتحنّ القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها. ولنعم الجيش ذلك الجيش)[1]. والذي رقّم بأحرف من ذهب على لوحة رخامية على يمين الباب الرئيسي للمسجد الذي بناه فاتح القسطنطينية السلطان محمد الثاني في قلب استانبول.[2]

ويمكن التساؤل: ((ما هي الدوافع التي حولت إمارة صغيرة في أقصى شمال البلاد الإسلامية وعلى حدود دولة الروم لتصبح دولة الإسلام الجامعة.وتجعل عاصمة الروم مركزها الرئيسي وتجعل منها مدينة الإسلام إسلام بول)) وتعيد سيرة الدولة العربية الإسلامية في مراحلها الراشدية والأموية والعباسية في نظام الخلافة والحياة.

14- التصوّف ودور الطريقة المولوية في العهد العثماني وانتشارها في الشام:

وقد تعرّفت هذه الدولة، وهي توطد دعائم ملكها في آسيا الصغرى أولاً ثم في العالم العربي ثانياً، على الأنواع الثلاثة للصوفية: المعتدل ويتمركز في الشام ومصر وقد ترابط مع فرقة العلماء وتوافق. ويمثل هؤلاء النخبة المتفلسفة المنظمة الصوفية.

وصوفية الجماعات الريفية على الحدود، ومعظم أتباعها من المعتنقين الجدد نسبياً للدين الإسلامي. وجميعهم قد امتزجت التعاليم السنية والصوفية في أذهانهم بمعتقدات سابقة غريبة عن الدين، مما جعلهم متساهلين ومتسامحين في أمور الدين أكثر من غيرهم وأقرب في طقوسهم إلى الكفر من الإيمان.

وجماعات صوفية هي وسط بين الاثنين وهي الجماعات المهنية والشعبية في المدن والأرياف، وهي أكثر سنية من الثانية وأكثر سطحية من الأولى. وهذه الجماعات الأخيرة قد حولت المفاهيم الصوفية العقلية والروحية إلى تعبيرات عملية وأسس أخلاقية تسيّر حياتها الاجتماعية. وهي تتبع تقاليد معينة وتمارس رياضة نفسية خاصة تحت إشراف شيوخها المحليين.

ولقد عملت الدولة العثمانية منذ نشأتها على حماية هذه الطرق في أراضيها أولاً، ولاسيما البكتاشية والمولوية (بالطبع هذا لدورها الإسلامي التوجيهي).

لقد حمت الدولة وساعدت (المولوية) التي يطلق على أتباعها اسم (الدراويش الراقصين) وسموا بذلك للرياضة الخاصة التي يقومون بها كجزء من نظامهم. وهي دوران الواحد منهم على نفسه وعلى قدمه اليمنى فقط أثناء قيامهم بالذكر، وعلى أنغام الموسيقى حتى يتحول الدوار الذي يحس به إلى نشوة. ويرافق هذه الوسيلة في نظامهم الصلاة والصيام والتعبّد للوصول إلى الإشراق الصوفي[3]. لقد كان دراويش هذه الطريقة يهدفون الوصول إلى حالة الوجد الصوفية على أنغام الناي[4]. وتشتق المولوية اسمها من كلمة (مولانا) وهو لقب أعطي لجلال الدين الرومي مؤسسها. وكان من أشهر متصوفة القرن السابع الهجري (13م). وقد أقام في البلاط السلجوقي في قونية وجذب إليه أنصاراً كثيرين من الآخية[5]. ومن موظفي الحكومة ورجال الفقه.

ولقد طعنت السنة بهذه الطريقة لاستخدامها الرقص والموسيقى. ويقال أن جلال الدين قد لجأ إلى هذه الطريقة لأنه كان يعرف أن سكان آسيا لصغرى يميلون إلى الرقص والغناء مما يمكنه من جذبهم إلى آرائه[6]. وقد انتشرت المولوية انتشاراً واسعاً، وكان لها، حتى الثورة الوطنية في تركيا، نفوذ عظيم[7].

وقد كانت المولوية من الطرق المتسامحة مع الديانات الأخرى وبخاصة المسيحية؟ تميل إلى التوفيق بين جميع

---

1 - بروكلمان : المرجع السابق، ص434.

2 - بروكلمان : المرجع السابق، ص434.

- ورد في الجامع الصغير للسيوطي.وفي السراج المنير يشرح الجامع الصغير للعزيزي (مصر1304هـ) ج3 /194. ولا ذكر للحديث في كتب الحديث الستة وكتب الحديث الأخرى.وفي السيرة النبوية أن الرسول (ص) تحدث عن فتح القسطنطينية عاصمة الروم وبلاد الفرس وبدأ بتوجيه الرسائل إلى جميع القوى المحيطة بالمسلمين في ذلك الوقت.ص 434.

3 -ليلى صباغ: المجتمع الإسلامي في بلا الشام في العهد العثماني، ص184 186.

4- كارل بروكلمان: المرجع السابق، ص397.

5 الآخية والأخية هم بعض جماعات الفتوة في آسيا الصغرى، وقد تلكم عنهم ابن بطوطة في رحلته.

6 . Encylopedia de l,Islam: Mrt- Mawlawiya

7. Hasluk: Christianity and Islam Under the Turks, 11

الديانات على أساس فلسفي. وقد حاولت أن تبعد عن نفسها الشك الذي يمكن أن تطرحه معتقداتها عليها. إلا أنها هوجمت من قبل السنة، حتى قيل إن السلطان سليم وهو يتقدم عام 922 هـ لملاحقة الفرس أمر بهدم خانقاه المولوية تحت تأثير الفقيه (الجمالي). وعلى الرغم من أن الأمر لم ينفذ فإن السلطة المعنوية والدينية لرؤساء هذه الفرقة قد ضعفت. إلا أنه منذ الربع الأخير من القرن السادس عشر عادت علاقتهم للتحسن مع السلطنة العثمانية، وازداد نفوذهم في القرون التالية حتى غدوا يشاركون في (شد) السلطان الجديد بتقديم خنجر له عند وصوله إلى العرش؟.

وقد عملت الدولة في الواقع على تشجيع هذه الفرقة لتوجد التوزان مع كفة البكطاشية الراجحة ذات النفوذ القوي لدى الانكشارية[1]. وكانت أهم الطرق الصوفية في مدن الأناضول إبان تأسيس الدولة العثمانية هي (المولوية والرفاعية والخلوتية). ولم تكن الطريقة المولوية قد تأسست في حياة مولانا جلال الدين، لكن خلفاءه أفادوا من جمعه المريدين من أعلى طبقات الأرستقراطية إلى أدنى الطبقات الشعبية بما في ذلك اليهود والنصارى، وأفادوا من شهرته، فأسسوا الزوايا في كل مكان، ووضعت الأركان والمراسم بالتدريج.[2]

وقد دخلت المولوية إلى بلاد الشام بعد الفتح العثماني. إذ ذكر لزواياها قبل ذلك. ولكن هذا لايمنع من وجود مؤيدين قبل هذا التاريخ لجلال الدين الرومي، لأن التبادل الثقافي كان قائماً في عهد المماليك بين السلاجقة والأتراك وبلاد الشام ومصر، وقد عمل الأول على هجرة المتفقهين المسلمين إليهم.

وبعد أن عملت الدولة العثمانية على تشجيعهم ازداد انتشارهم حتى كانت لهم زاويتهم في دمشق وحلب والقاهرة. (ومدن الشام الأخرى كحمص).

من الطرق الصوفية المنتشرة في بلاد الشام في العهد العثماني، وكان لها نظامها ومصطلحاتها ولها تكايا في مدن بلاد الشام ورجالها الدراويش ورئيسهم الدادا[3]. وكان في حمص تكية كبيرة ولها أوقاف وهدمت على مراحل انتهت عام 1957م وهذا مما يؤسف له.

ومن هذا يتضح أن الدولة العثمانية كانت تؤيد رسمياً وتعتمد على طريقتين كبيرتين من الطرق الصوفية، كما أنها حمت جميع الطرق الأخرى. وفي الوقت نفسه شجعت طبقة العلماء على زيادة ترابطهم مع هذه الأخوات الصوفية. وقد أدى تلاحم التيار الفكري الصوفي مع التيار السني في مطلع الحكم العثماني لبلاد الشام إلى اتساع الساحة التي اكتسبها التصوف، حتى أن عدداً كبيراً من العلماء أنفسهم انخرط في الفرق العديدة المتصوفة، وسحقت بهم جميع طبقات المجتمع الإسلامي. وغدا للتصوف مراكز دائمة ونشاط مستمر وأصبح من الطبيعي جداً بالنسبة لذلك العصر أن يربط كل فرد نفسه بطريقة من الطرق. وإذا لم يحدث هذا فإنه كان يعتبر أمراً مستغرباً.

وهكذا يظهر للباحث أن التيارين الفكريين بين السني والصوفي، وهما يختلفان في كثير من الآراء والمعتقدات، كانا يقومان جنباً إلى جنب في المجتمع الإسلامي الشامي في منتصف القرن العاشر للهجرة، بل كان ينظر إليهما وكأنهما تيار واحد.

وما فعله السطان سليم الأول عند دخوله دمشق سنة 923هـ/1516م من الاهتمام بقبر محيي الدين بن عربي، يعني أن الدولة العثمانية شجعت الأفراد على الانخراط في الأخوات الصوفية المختلفة[4]. فكان المجتمع الإسلامي في الشام متنوع المشارب بين العلوم الإسلامية للقرآن والحديث والفقه بمذاهبه الأربعة معتقدات الصوفية المتنوعة والمختلفة وتفسيرات الباطنية الشيعية.

ومما يوضح تأثير جلال الدين في العهد العثماني ما ذكره الرحالة ابن بطوطة أثناء زيارته لقونية بعد وفاة الشاعر بنحو (60) سنة، أي سنة 732هـ، فقد تحدث عنه وعن طلابه وعن أتباعه الذين سماهم الجلالية، وعن ديوانه المثنوي.[5]

لقد خلع أحد زعماء المولوية في قونية لقب سلطان الغزاة على أمير أيدين على ضفاف نهر مندرس. (معاصر عثمان)، وهذه الإمارة الغازية ظلت تشيع القلق والاضطراب في بحر ايجه حتى سنة 1344/745م حيث ضعفت ولكنها

1- Gibb Bowen: part 11. p.185.

وانظر : ليلى صباغ: المرجع السابق.

2 -محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية، ص153.

3 درويش من التركية عن الفارسية، در: الباب والمدخل. و(ويش): الواقف الملازم، أي الفقير المستعطي أمام باب الله.
أما الدادا: من (دره) الفارسية وتعني الجد. وفي اصطلاح المولوية: رئيس الدراويش الذي يضع العمة الخضراء على الكلاة.
انظر: محمود عمر السباعي ونعيم سليم الزهراوي: حمص دراسة وثائقية، ج1، ص315-319.
وانظر عن التكايا: 259-267.

4 -ليلى صباغ: المرجع السابق، ص187 194.

5 محمد عبد السلام كفافي: مثنوي جلال الدين، ج1، ص8.

استمرت حتى ألحقت بالعثمانيين.

وبنفس الطريقة سبق لعثمان أن تسلم من حميه (اده بالي)، رئيس المشايخ الصوفية، منطقة الجهاد والسيف بوصفه غازياً (مجاهداً في سبيل الله). وفي نقوش جامع بروسه الذي بناه أورخان بن عثمان سنة 735هـ/1334م. نجد أنه يلقب نفسه بمجرد السلطان ابن سلطان الغزاة الغازي بن الغازي مرزبان الآفاق بطل العالم. كذلك كان السلاطين العثمانيون في أستنابول فيما بعد، يقلدون سيف عثمان من قبل يد شيخ الطريقة المولوية (بيوك جلبي). إمام جامع أبي أيوب الأنصاري، على القرن الذهبي، وبذلك يتقبلون البيعة[1].

وأبو أيوب الأنصاري هو الصحابي الذي رافق الحملة الأموية إلى القسطنطينية ودفن تحت أسوارها واكتشف العثمانيون قبره وأقاموا عليه مسجداً.

وفي حين كانت المولوية هي الأساس الفكري الرسمي للدولة والشعب المجاهد، كانت البكتاشية منتشرة بين الانكشارية. إضافة إلى الطرق الأخرى المنتشرة. ولكن يمكن القول: إن المبادئ الفكرية التي دعا إليها الرومي في شعره نجدها متحقّقة في سياسة السلطنة العثمانية وحضارتها الإسلامية.

وعندما يحدثنا الأمير شكيب أرسلان عن العلماء الذين برزوا في عهود السلاطين العثمانيين يذكر (شاه محمد بن حزم) من ذرية جلال الدين صاحب (المثنوي) في عهد السلطان سليم الثاني. وكان من أكابر المدرسين وتقلّد قضاء القاهرة، ثم قضاء القسطنطينية. وكان من فحول العلماء، إلا أنه كان معجباً مستبداً صعب المقادة، وله حواش على كتاب الإصلاح والإيضاح لكمال باشازاده، وحاشية التجريد للسيد الشريف.[2]

15-موقف جلال الدين الفكري المدافع عن الإسلام والمتصدي للانحرافات والدافع للجهاد:

نقد جلال الدين الفلسفة وعلم الكلام، وتصدى للبدع، وفنّد آراء المعتزلة والمشبهة، ورد على مبطلي التكاليف، وذم الجبرية، ونبذ التواكل، وحث على العمل، ودعا إلى الجهاد، ووجه سهام نقده للمتكبرين والمغرورين المقلدين، ووقف من الجبر والاختيار في مركز الوسط أو مال قليلاً إلى الاختيار. ونقد العلماء المزيفين وقال إن علومهم محدودة رغم تبحرهم، وأورد قصصاً عديدة لإثبات رأيه مثل قصة النحوي والملاح.

كذلك حذر من اتباع المشعوذين والمجانين من أدعياء الكرامات، وبين حال الصوفي الحقيقي الذي كثيراً ما يغيب عن شهوده معظم الناس، وإن أولئك الفقراء من الصوفية ذوي اللطف والأنفاس الطيبة هم الذين نزلت بأمثالهم سورة (عبس).

كما وقف ذد الملحدين وأصحاب الفلسفات القديمة من دهريين سوفسطائيين موقف المعارض القوي. كذلك أصحاب الفوضوية الشعبية الذين دعا إلى عدم إتباعهم.[3]

ويقول محمد فؤاد كوبريلي: كانت هذه الطريقة المولوية التي تعتمد على طبقات الارستقراطية العالية، وعلى البرجوازية العالية والوسطى وحتى أدنى الطبقات الشعبية، كانت تقف منذ البداية موقفاً مضاداً لجماعات الهراطقة، وتعمل على الإبقاء على النظام الاجتماعي والسياسي القائم.[4]

ولعل إتباع جلال الدين لأسلوب التصوف لما لاحظه من انتشاره في تلك الفترة بين الناس فيستطيع من خلاله التأثير عليهم، وكما يقول بروكلمان: ((خضعت حياة الجماهير الدينية لتأثير مشايخ الطرق الصوفية (الدراويش) المنتشرة انتشاراً واسعاً في آسيا الصغرى، منذ القدم، وفي الروم ايلي بعد ذلك بزمن كالنقشبندية والمولوية والبكتاشية، بأكثر مما خضعت لتأثير رجال الدين الرسميين))[5]. ويقصد العلماء.

ومن المعروف النهضة الدينية في عهود السلاجقة، ومن جملتها التصوف الذي ساهم في حركة الجهاد[6]. وإن كان للتصوف بعض المواقف الاجتماعية السلبية على يد بعض الدراويش، ودورهم في تحريف التصوف وتسلل المعارضة المتشيعة عبره. وبالطبع كان جلال الدين ممن مثل الأدب باللغة الفارسية، والتصوف الصحيح، والتصدي لحالة اليأس التي ظهرت لدى كثير من الناس بسبب ما فعله المغول في (ق7هـ).

---

1 -بروكلمان: المرجع السابق ، ص408 434.
واحمد السعيد سليمان: تاريخ الدولة الإسلامية، ص396.
2 -شكيب أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية، ص195.
3 علي حسون: جلال الدين الرومي، مجلة الآداب الأجنبية، دمشق، ع/77 78، 1994م، ص186.
4 -محمد فؤاد كوبريلي:قيام الدولة العثمانية، ص153.
5 كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص418.
6 -عبد المنعم محمد حسين: سلاجقة فارس، ص173 183.

ويتضح من شعر الرومي عقيدته وسلوكه الإسلامي. فقد كان ملتزماً بالصلاة والنحيب حتى تتورم قدماه. وكان يصوم إلى درجة الهزال والنحول. وكان لا ينفك يذكر القرآن الكريم ويستشهد بآياته، ويذكر الأحاديث النبوية الشريفة المعتمدة عند علماء الحديث غير المنحرفين كالفرق الشيعية وغيرها. ويذكر الخلفاء الراشدين والصحابة.

روى الأفلاكي مؤلف كتاب مناقب العارفين حيث ذكر ترجمة للرومي أن السلطان السلجوقي (ركن الدين) كان يجل شيخاً تركمانياً يقال له حرندي على نحو أحزن جلال الدين الرومي. وروى الأفلاكي الذي كان تلميذ لحفيد جلال الدين أيضاً أن مسعوداً حاكم منتشا أحنق عارف جلبي حفيد جلال الدين بتبجيله شيخاً تركمانياً آخر.[1]

وهكذا يتضح أن جلال الدين مسلم ملتزم (من أهل السنة والجماعة): تراه يتحدث حول القضاء والقدر في حوار بين مسلم ومجوسي، وقد انتقد المعتزلة أن مذهبهم مذهب حسي بحت. وذكر في أكثر من موضع من المثنوي أنه سنّي المذهب. فقال: ((إن السنة هي أسلم الطرق، والجماعة هم رفقاء الطريق))[2].

ولذلك تراه يذكر المصطفى وأحاديثه ثم الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة.

16- عقيدة جلال الدين وآرائه من كتابه المثنوي:

ومثنوي جلال الدين الرومي وهو الإنتاج الرئيسي لجلال الدين الرومي، وهو قصيدة كبيرة في ستة كتب في الأفكار والآراء التي تؤيّد وتشرح عقيدته الصوفية.[3]

والحق أنه يقدم إلينا في كتابه الرئيسي (مثنوي) مجموعة غير منظمة من الحكايات الموضوعة على ألسنة الحيوان، والقصص والتأملات، مفرغة في قالب شعري رفيع يقصد آخر الأمر إلى بسط العناصر الرئيسية في التفكير الصوفي، وإلى إفناء الأنا في الوحدة الوجودية.

ولقد رفع أتباع جلال الدين كتاب (مثنوي) مقاماً عالياً يكاد يداني مقام القرآن نفسه، وانقضت حقبة من الدهر كان هذا الكتاب يتحكم خلالها في الاستشراف الفكري الذي أخذت به أفضل العناصر في (الإمبراطورية العثمانية)[4].

والمثنوي ست مجلدات باللغة الفارسية، يبحث موضوعات التصور الإسلامي عن الله والإنسان والكون والحياة، سماه الإيرانيون (الفرس) (قرآن بهلوي) أي قرآن الفارسية لعظمة موضوعاته. فقد بالغوا في تعظيمه إلى أبعد الحدود لأنه بالفارسية. ويحتوي على تفسير لبعض الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشرفة.[5]

يقول جلال الدين في مقدمته العربية عن المثنوي: ((هذا كتاب المثنوي وهو أصول أصول الدين وفي كشف أسرر الوصول واليقين، وهو فقه الله الأكبر وشرع الله الأزهر وبرهان الله الأظهر ...)). فالمثنوي مصدر للاطلاع على القيم الإنسانية الخلقية التي انبثقت من الحضارة الإسلامية.

والكُتّاب من أبناء الشرق مولعون بأن ينسبوا إلى جلال الدين أنه عالج في ملحمته هذه (المثنوي) جميع المعارف، وتناول بالبحث كل العلوم. ولست أحب أن أمضي في تلك السبيل فأخلط بين ثقافة الشاعر التي تنعكس في إنتاجه الفني، وبين اعتباره صاحب علم بجميع المعارف، يقرأ لكي تلتمس عنده هذه العلوم المختلفة.

فالمثنوي قبل كل شيء أثر فني ومصدر للاطلاع على القيم الإنسانية والخلقية التي انبثقت من الحضارة الإسلامية. ولذلك نرى الشاعر يستخدم القصص في إيضاح آرائه، ويفسر الآيات القرآنية ويذكر الأحاديث النبوية، ويقتبس الحكمة منها.[6]

17- السلاجقة والرومي بين اليونانية والفارسية والعربية:

وفي حين يمكن تقسيم رجال الأدب الفارسي إلى أربعة أطياف رئيسية هي: طبقة المتشائمين كعمر الخيام وطبقة المتفائلين كسعدي الشيرازي، وطبقة تجمع بين الطائفتين كحافظ الشيرازي، وطبقة المتصوفة العارفين التي تعد شديدة الأهمية نظراً لتأثيرها العميق في الأدب الفارسي والفكر. ومنها جلال الدين الرومي والعطار والعراقي. وفي آثار الرومي

---

1 -محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية، ص159.
2 محمد عبد السلام كفافي: مثنوي جلال الدين،ج1، ص38.
3 - ليلى صباغ: المرجع السابق، ص196.
4 - كارل بروكلمن: المرجع السابق، ص397.
5 --علي حسون: جلال الدين الرومي: مجلة الآداب الأجنبية، دمشق، ع/77 78، 1994م.
6 - محمد عبد السلام كفافي: المثنوي ، ج1، ص13.

يصعب العثور على بيت أو قول بيوح بحالة الألم أو الحزن أو التشاؤم.[1]

وفي ندوة عن أدباء العرفان (حافظ الشيرازي وجلال الدين الرومي) بتاريخ 2004/10/10م أقامتها المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق، كانت تهدف إلى تعظيمهما لأنهما من كتاب الفارسية.[2]

كان التأثير الفارسي في مدن الأناضول قوياً، واستخدام اللغة الفارسية منتشراً. وكان السلاجقة يواجهون الأعداء كمسلمين يتكلمون الفارسية أو التركية. وكان التأثير العربي قوياً أيضاً.

وكان المسيحيون يفضلون السلاجقة على الروم. ويعتبرون أن حياتهم تحسنت تحت حكمهم. وقد كانت العلاقة بين السلاجقة الروم والإغريق في الأناضول أفضل من علاقة أي منهما بأبناء دينه في البلدان المجاورة.

وانتشرت الطرق الصوفية خاصة الطريقة المولوية التي تميّزت بنوع خاص من الموسيقى والرقص.[3]

في فترات تاريخية، رافق انتشار الإسلام انتشار العربية وحتى الذين لم يسلموا اتخذوا العربية لساناً لهم. أما في عهد السلاجقة وغيرهم من الأتراك الذين أسلموا فقد احتفظوا باللغة التركية، حتى أن سلطان ولد بن جلال الدين الرومي يقرض الشعر باليونانية إلى جانب الفارسية والتركية. ولأشعاره هذه اليونانية والمكتوبة بالحروف العربية قيمة كبيرة لعلماء اللغة، إذ أنها الذكرى الوحيدة للهجة الرومية في منطقة قونية في ذلك الوقت.[4]

وهذا ما يدلّ على أن جلال الدين الرومي وابنه قد تفاعلا مع الواقع المحيط وتأثرا وأثرا به خدمة للإسلام ولغة القرآن.

انتشار الفارسية في عهد السلاجقة:

لقد ارتقى فن الأدب الفارسي في عصر السلاجقة، وقد بدأ الأدب الفارسي الإسلامي تطوره منذ القرن الثالث الهجري، فلما أدرك عصر السلاجقة كان فن صناعته قد ارتقى إلى حد كبير.

ونشرت فتوحات السلاجقة اللغة الفارسية في آسيا الصغرى، فأصبحت بلاد الفارسية تمتد من الهند شرقاً إلى البحر الأبيض المتوسط غرباً، وظهرت أهميتها في بلاد كانت فيها آداب قومية، كبلاد الأرمن وجورجيا، فبدت آثارها في هذه الآداب.[5]

وكثرت المؤلفات باللغتين العربية والفارسية في العلوم المختلفة. وقد انتشرت الكتب العربية في إيران وكثرة العناصر العربية في اللغة الفارسية نفسها في عهد السلاجقة[6]، وهذا بالطبع نتيجة شدة إيمان السلاجقة وشعبهم وحبهم للغة العربية والخلافة العباسية.

18- تأثير المولوية والفارسية في السلطنة العثمانية والبلاد الإسلامية:

احتفظ العثمانيون فترة طويلة من الزمان باللغة الفارسية، بالإضافة إلى قوالب الشعر الفارسي. كذلك نزع الشعراء (العثمانيون نزوعاً شديداً إلى تقليد (مثنوي) جلال الدين الرومي، و(مثنوي) كل من حاجي ونظامي، ذوات الاتجاه الصوفي الرومانتيكي...[7]

احتلت اللغة الفارسية مكانتها المرجوة بين العثمانيين منذ عهد تأسيس السلطنة على يد الأمير عثمان الأول، إذ كان لمرشده الروحي جلال الدين الرومي مؤسس الطريقة المولوية، ولديوانه الرائع (مثنوي معنوي) الذي يعتبر بحق قرآن العجم، نفوذ مؤثر على دروايش المولوية العثمانيين[8]. إذ أنه منذ ذلك الحين أخذت تنتشر اللغة الفارسية بين أوساط العثمانيين حكومة وشعباً، وحتى بين السلاطين أنفسهم، إلى أن غدت لغة البلاد الثانية لتقديرهم لها، على أنها لغة الثقافة الرفيعة آنذاك.

أما أبرز السلاطين العثمانيين الذين كانوا يتقنون الفارسية علاوة على الأمير عثمان، فقد كان السلطان محمد الثاني الذي كان يتقنها مع اللغة العربية والرومية.[9]

---

1 - مصطفى بكور: نظرة في أطياف الأدب الفارسي، الأسبوع الأدبي، عدد 1064، دمشق 29 جمادى الآخرة 1428هـ، 2007/7/14م.

2 -للندوة المطبوعة ، 2004م.

3 كلود كاهن: المرجع السابق، ص211،349،352.

4 -و. بارتولد: تاريخ الترك، ص110.

5 عبد النعيم محمد حسين : المرجع السابق، ص194،191.

6 - عبد النعيم محمد حسين : المرجع السابق، ص186.

7 -بروكلمان: المرجع السابق، ص486.

8 نيقولاي أيفانوف: الفتح العثماني للبلاد العربية، ص265.

9 محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص247.

وكان السلطان سليم الأول يتقن اللغة الفارسية وينظم بها الشعر وعدد من السلاطين بعده. وله ديوان كبير نشره بول هورن سنة 1904م بأمر من القيصر ولهلم الثاني ليقدّم هدية إلى السلطان عبد الحميد الثاني في طبعة ممتازة أخرجها مكتب الطباعة الامبراطوري.[1]

وفيما بعد في القرن الحادي عشر الهجري (17 م) ترجم ديوان (مثنوي معنوي) إلى التركية.[2]

لقد جمع جلال الدين حوله المريدين من أعلى طبقات الأرستقراطية إلى أدنى الطبقات الشعبية، بما في ذلك اليهود والنصارى.[3]

لقد أثّر الرومي على العديد من الشعراء ورجال الفكر والدعوة في العالم الإسلامي وخارجه. وكان مصدر إلهام لأجيال المستقبل. ولا تزال طريقته المولوية تستهوي أفئدة الكثير من الناس. ونجد تأثيره الواضح على العديد من الكتاب في الماضي وفي الحاضر. في بلاد الأناضول وفي بلاد العرب وفي بلاد الفرس وفي بلاد الغرب أيضاً.

ويمكن القول أخيراً أن الرومي هو أحد شعراء الإنسانية الإفذاذ، وعلم شامخ من أعلام الفكر ورواده الذين جادت بهم حضارتنا الإسلامية الزاهرة، فأسهمت بتراثه الفكري والفني في إغناء تراث البشرية جمعاء.

ليس تصوف شاعرنا من ذلك النوع السلبي الذي يدع الحياة وما فيها، ويدعو إلى هجرها والفناء عنها فناءً كاملاً، ويعدها شراً تورطت فيه البشرية. بل هو تصوف بناء يبحث عن المثل العليا في الفكر والعمل. ويعد جلال الدين الرومي في العصر الحاضر بإجماع الدارسين من أهل الشرق والغرب أعظم شعراء الصوفية في كل زمان ومكان وواحداً من شعراء الإنسانية الأفذاذ.[4]

---

1 -بروكلمان: المرجع السابق، ص450 486.

2 -سعيد نفيسي: تاريخ نظم ونشر در إيران، ج1/392 293.
عن: عباس صباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص276.

3 محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية، ص153.

4 محمد عبد السلام كفافي: مثنوي جلال الدين، ج1، ص44.